

إشكال الرسم العثماني في علاقته بالقراءة والأداء - بعض الآيات القرآنية أمودجا-

The Uthmani Script and its relationship with reading and performance.

- Some Koranic verses as a model -

مختار بزاوية*

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والفنون ، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر

تاريخ القبول 13-04-2019

تاريخ المراجعة 2019/1/4

تاريخ تقديم البحث 24-08-2018

Abstract

During the course of his study of the Quranic studies field, the researcher encounters several problems. It is difficult for investigators and scholars to decide on many of them, such as the issue of the Uthmani Script, which was absent from the points of silence and expression, and the result of multiple reading and performance. The Quran and its readings.

In this research I tried with all my efforts to reach the approach to this problem and find solutions to it, especially as this issue touches on the words of the Lord of the worlds, which avoids distortions, alterations and decreases.

I have come back to what the previous writers wrote , to come to a compromise opinion that combines this and that, supporting my research with examples of reading the Holy Quran and comparing it with the Uthmani Script, and what came in the letters of the Prophet, peace be upon him.

ملخص

يصادف الباحث أثناء طرقه لحقل الدراسات القرآنية عدة إشكالات، عسر على المحققين والدارسين البت في كثير منها، ومن ذلك مسألة الرسم العثماني الذي جاء غفلا عن نقط الإعجام والإعراب، وما نجم عن ذلك من تعدد أوجه القراءة والأداء، وقد وجد في ذلك المستشرقون منفذا للطعن في القرآن الكريم وقراءاته. وفي هذا البحث حاولت بما أوتيت من جهد الوصول إلى مقارنة تلك الإشكالية وإيجاد حلول لها، خاصة أن هذه القضية تمس كلام رب العالمين المنزه عن التحريف والتبديل والنقصان.

وقد رجعت إلى ما كتبه السابقون وما درج عليه المتأخرون، لأصل إلى رأيي توفيقي يجمع بين هذا وذاك، مدعما بحثي بنماذج من قراءات القرآن الكريم ومقارنتها بما جاء في الرسم العثماني، وما جاء في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم.

Keyboard: Quran, Uthmani Script, Readings, Performance

الكلمات الدالة: الرسم، العثماني، أوجه القراءة، القرآن، الأداء،

مقدمة

خلال مساري الدراسي اشتغلت أنا وبعض الزملاء على القراءات القرآنية، من خلال معجم القراءات القرآنية للأستاذين أحمد مختار عمرو وعبد العال سالم مكرم، فصادفت وأنا أُلجّ حقل الدراسات القرآنية إشكالات متعددة، مثل لغز الأحرف السبعة وكثرة الآراء المتباينة حوله، وواقع تعدد القراءات واختلافها، والمعارك الساخنة بين النحاة والقراء حول أصحية بعض الأوجه بين النقل والعربية.

ومن تلكم المسائل الشائكة قضية الرسم العثماني وما اكتنفه من غموض واحتمال في تعدد أوجه القراءة والأداء. فما بين أيدينا من قراءات متواترة وأخرى شاذة، قد أرجعه بعضهم إلى كون هذا الرسم غفلا عن نقط الإعراب والإعجام. فهل صحيح أنه هو السبب الرئيس في هذا الاختلاف والتعدد؟ أم أنّ واقع الأداء كان مرتبطاً بصحة النقل كما يرى علماؤنا القدامى؟ أليس القرآن الكريم منزهاً عن التبديل والتحريف والنقصان؟ فما باله يتعدد بهذا الشكل الفظيع من القراءة؟

فكانت هذه التساؤلات سبباً هاماً محفزاً جعلني أُكرّس قلبي خدمة لهذا الكتاب الكريم، ودفاعاً عن الحرف المُشرف، وأسعى لأنشد الحقيقة وأُجلي عن ناظري غشاوة، وعن عقلي حيرة طالما راودتني وأنا أُلجّ هذا الحقل من الدراسات، خاصة حينما أصددم مع كثرة الاختلافات، والآراء والأقاويل المتباينة في قضية واحدة من مسائل القرآن الكريم، فما بالك بباقي المسائل والقضايا.

أولاً- التعريف بالرسم العثماني:

أ- لغة:

الرَّسْمُ هُوَ الْأَثَرُ أَوْ بَقِيَّتُهُ أَوْ مَا لَا شَخْصَ لَهُ مِنَ الْأَثَارِ، جَ أَرْسُمُ وَرُسُومٌ، وَرَسَمَ الْغَيْثُ الدِّيَارَ يَرْسُمُهَا رِسْماً عَفَاها وَأَبْقَى أَثَرَهَا لِاصْطِقَ بِالْأَرْضِ، وَرَسَمَ عَلَى كَذَا وَحَطَّ، وَرَسَمَ فِي الْأَرْضِ غَابَ فِيهَا¹.

¹ البستاني، المعلم بطرس: قطر المحيط، ط2، بيروت، مكتبة لبنان، 1995، مادة (رسم).

ب- اصطلاحاً:

المراد بالرّسم الكتابة باللفظ، وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء والوقوف عليها¹، وأمّا رسم المصحف فإنه يُراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان بن عفّان-رضي الله عنه-(ت35هـ) في كتابة كلمات القرآن وحروفه²، ولأنّه هو الذي أمر بنسخ المصاحف في خلافته، وقام بتوزيعها إلى الأمصار الإسلامية نُسب إليه، فيقال: الرّسم العثماني.

إلّا أنّ هذا الرّسم يُخالف أصل الكتابة العربيّة، في أن يكون اللفظ مكتوباً بحروف تتّفق مع النّطق من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل أو تغيير، فهو يُخالفه بالحذف والزيادة والإبدال وأمور أخرى، يقول السيوطي(ت911هـ): « القاعدة العربية أن اللفظ يُكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه، وقد مهّد النّحاة له أصولاً وقواعد، وقد خالفها في بعض الحروف خطُّ المصحف الإمام»³.

ج- أشهر ما أُلّف في علم الرسم:

من أجل هذا كان رسم المصحف موضع عناية واهتمام العلماء والباحثين، منذ عصر التّدوين للعلوم الإسلامية، فاستنبطوا مبادئ الرسم وقعدوا له القواعد وأصلّوا له الأصول، وقارنوا بين المصاحف العثمانية وبيّنوا أوجه التّوافق والاختلاف، فكثرت المؤلّفات في وصف رسم المصحف وبيان علله، كما أُلّفت كتب أخرى في النّقط والشكل، وقد اصطلح على هذا العلم بعلم الضبط. ولأنّ المؤلّفات في هذا العلم كثيرة، سأقتصر على ذكر بعضها، ولعلّ من أشهر ما أُلّف في علمي الرّسم والضبط ما يلي⁴:

- المقنع في رسم مصاحف الأمصار، للإمام الحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد الدّاني، الذي اشتهر في زمانه بابن الصّيرفي(ت444هـ).

¹ شلي، عبد الفتاح: رسم المصحف العثماني واوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، ط4، القاهرة، مكتبة وهبة، 1999، ص05.

² الزرقاني، عبد العظيم: مناهل الغرّان في علوم القرآن، ط2، بيروت، دار الفكر، (دت)، 255/01.

³ السيوطي، جلال الدين: إتقان في علوم القرآن، (دط)، دار الفكر، (دت)، 166/02.

⁴ ينظر: سري، حسن: الرسم العثماني للمصحف الشريف، ط1، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، 1998، ص06-10. والزرقاني عبد العظيم: مناهل العرفان، 255/01.

- عنوان الدليل في مرسوم خط التتيريل، للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي، المعروف بابن البناء المراكشي (ت721هـ).
- عمدة البيان في رسم القرآن، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الشريشي، المشهور بالخرّاز (ت718هـ).
- منظومة "مورد الظمان" للخرّاز، وقام بشرحها ابن عاشر الأنصاري الأندلسي (ت1040هـ) في كتاب سمّاه: "فتح المنان في شرح مورد الظمان"، وكذا المارغّي التونسي (ت1349هـ) في كتاب سمّاه: "دليل الحيران في شرح مورد الظمان".
- أرجوزة "اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة المرسوم"، للشيخ محمد بن أحمد المتولي (ت1313هـ)، وقد شرحها ابن خلف الحسيني (ت1342هـ) في كتاب سمّاه "الرحيق المختوم في شرح اللؤلؤ المنظوم".
- إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع المصحف الإمام، لمحمد حبيب الله الشنقيطي (ت1363هـ).
- سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، لعلي محمد الضباع (ت1376هـ).

ثانيا- التعريف بالقراءة:

1- لغة:

القراءة مفرد جمعها قراءات، وهي مصدر الفعل الثلاثي قرأ، ويرد هذا الفعل غير مهموز، وعليه يُقال قرئت مُبدلةً من قرأت¹. ومعنى القراءة في المعاجم لا يخرج عن الجمع والاجتماع، يقول ابن منظور (ت711هـ): «قرأ القرآن التنزيل العزيز، قرأه يقرؤه ويقرؤه، الأخيرة عن الزجاج، قرءاً وقراءة وقرآنا، الأولى عن اللحياني، فهو مقروء، أبو إسحاق النحوي، ومعنى القرآن الجمع، وسُي قرأنا لأتّه يجمع السُور فيضُمّها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ أي جمعه وقراءته، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي قراءته، قال ابن عباس رضي الله عنه: "فإذا بيناه لك بالقراءة، فاعمل بما بيناه لك"، وقرأت الشيء قرآنا، جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قط، وما قرأت جنينا، ومعنى قرأت القرآن لفظتُ به مجموعاً أي ألقينته².

¹ ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي، (دت)، 153/03.

² ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، ط1، بيروت، دار صادر، 2000، مادة قرأ

2- اصطلاحاً:

عرف الإمام الزركشي (ت794هـ) القراءات بقوله: « هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبه الحروف، أو كيفيتها، من تحقيق وتثقيل وغيرهما »¹. وعزفها ابن الجزري (ت833هـ) بقوله: « القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزّواً للنّاقلة »².

أما الزُّرقاني فقد عزّفها بقوله: « مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القُرّاء، مُخالفًا به غيره في النُّطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطُّرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف، أم في نطق هيئاتها »³.

يُلاحظ على هذه التعريفات، أنّها تجعل مدار القراءات حول الاختلاف في الأداء، نقلاً عن الرّواية انتهاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وقد عدّ ابن الجزري القراءات علماً، وهذا يُتحقّق عليه، فإنّ العلم ما كان مبنياً على قواعد وضوابط مُضطردةٍ يمتنع تخلفها، إلّا أنّ القراءات في كثير من الأحيان تُبنى على احتمالات لا يُقطع بصحّتها، كما أنّ كثرة الرّواية وتضاربها قد يطعن في مصداقيّتها في بعض الأحيان، أمّا إذا كان يقصد بالعلم كثرة أبوابه وسعة الاطلاع والبحث، فهذا مقبول من هذه الناحية.

ثالثاً- نشأة الرسم العثماني:

1- أصل التسمية:

انتقل رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- إلى الرفيق الأعلى والقرآن لم يجمع بين دفتي مصحف واحد، والسبب في ذلك كما يقول الخطابي: « إنّما لم يجمع - صلى الله عليه وسلّم- القرآن في مصحف واحد لِمَا كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته »⁴.

¹ الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، قدّم له وعلّق عليه مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988، 396-395/01.

² ابن الجزري، محمد: مُنجد المقرئين، تقديم وتعليق عبد الحليم قايّة، ط1، الجزائر، دار البلاغ، 2003، ص13.

³ الزُّرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العُرفان في علوم القرآن، 284/01.

⁴ السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، 75/01.

وفي عهد الخليفة أبي بكر الصديق-رضي الله عنه-(ت13هـ) دعت الحاجة إلى جمعه، خاصة بعدما استعرت نار الحرب بين المسلمين وأهل الردّة، خاصة مع مسيلمة الكذاب في واقعة اليمامة، ومات من المؤمنين خلق كبير، أكثرهم من القراء¹.

وقد كان جمع أبي بكر للقرآن الكريم مشتملاً للأحرف السبعة، ولم يخص حرفاً بعينه²، ثم كان لكثير من الصحابة مصاحف، كعمر بن الخطاب(ت23هـ)، وعلي بن أبي طالب(ت40هـ)، وأبي بن كعب(ت22هـ)، وعبد الله بن مسعود(ت32هـ)، وبعض زوجات النبي صلى الله عليه وسلم³.

وفي خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-(ت35هـ) وقع الاختلاف بين القراء وبلغ مبلغاً كبيراً، حتى وصل إلى حدّ الشقاق والتّخاصم في كتاب الله، فقدم حذيفة بن اليمان على عثمان وقال له: يا أمير المؤمنين إنّ النّاس قد اختلفوا في القرآن، وإنّ اختلافهم ليؤشك أن يكون كاختلاف اليهود والنّصارى⁴، فشرح الله صدر عثمان إلى عمل جليل، وهو أن جمع الأمة على رسم واحد، فنسب إليه وقيل: "الرسم العثماني". وقد استنسخ الخليفة عدداً من المصاحف اختلف أهل العلم في تحديد عددها، وبعث بها إلى الأمصار، وأمر بإحراق كلّ ما عداها، فاستجاب المسلمون لهذا القرار الحكيم، حتّى أصحاب المصاحف الخاصّة، ووقع الإجماع على هذا المصحف وامتنع النّاس عن القراءة بغيره⁵.

2- قواعد الرسم العثماني:

¹ ينظر: ابن الخطيب، محمد عبد اللطيف: الفرقان، (دط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (دت)، ص34.

² ينظر: الداني، أبو عمرو عثمان: المقنع في رسم مصاحف الأمصار، (دط)، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، (دت)، ص123.

³ السحستاني، عبد الله بن أبي داود: المصاحف، تحقيق محب الدين عبد السبحان واعظ، ط2، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 2002، 02/ 284 - 290 - 291 - 193.

⁴ ابن الجزري، أبو الخير محمد: النشر في القراءات العشر، تقديم علي محمد الضّباع، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002، 01/ 13.

⁵ ينظر: الزرقاني، عبد العظيم: مناهل العرفان، 01/ 178-182.

من الثَّابِت والمعلوم أنَّ المصاحف العثمانية كانت خالية من النَّقْط والشَّكْل، وأنَّ الخطَّ المَثْبِت فيها يُخالف المنطوق ويخرج عن المعهود عند النَّاس في الكتابة، وأكثر الدَّارسين على أنَّ نظم الكتابة على ثلاثة رسوم وهي¹ :

- 1- رسم المصحف الذي قالوا فيه: لا يُقاس هجاؤه ولا يُخالف خطُّه.
- 2- خطَّ العروض الذي جرى ما أثبتته اللَّفظ، وإسقاط ما حذفه.
- 3- خطَّ جرى على العادة المعروفة، وهو ما اصطلح عليه الكتَّاب في غير رسم المصحف والعروض.

والأصل في الكلمة أن تُكتب بحسب منطوق حروفها دون زيادة، أو نقصان، أو إبدال، أو غير ذلك، وأكثر الكلمات القرآنية متَّفقة مع هذه القواعد، وقد خرجت عن هذه القواعد بعض الألفاظ، فرُسِّمت بما ذكرنا من الظواهر التي تضمَّنَّها علم الرِّسم العثماني². يقول السيوطي: « القاعدة العربية أن اللَّفْظ يُكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء، والوقف عليهن وقد مهَّد النحاة له أصولا وقواعد، وقد خالفها في بعض الحروف خطَّ المصحف الإمام³. وقد حصرها علماء هذا الفنَّ في ستَّ قواعد، وهي: الحذف، والزيادة، والهمز، والبديل، والفصل والوصل، وما فيه قراءتان فقرئ على إحداهما⁴. وليس المقام التفصيل فيها.

رابعاً- مواقف العلماء والدارسين من الرسم العثماني:

لَمَّا كان الرسم العثماني مخالفا لقواعد الرِّسم القياسي المتعارف عليه، وقف العلماء منه مواقف متباينة، وذلك تبعا لاختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم الفكرية، فمنهم من بجلَّه وعظَّمه وحرَّم الكتابة بغيره من الرِّسوم، ومنهم من نظر إليه نظرة عقلية ومنطقية فوقف منه موقفا سلبيا، ودعا إلى تخطئة الكاتبين به، ومنهم من وقف منه موقفا وسطا، وفصل بين مقام

¹ السيوطي، عبد الرحمن: همع الهوامع، تصحيح محمد بدر الدين النعساني، (دط)، مصر، مكتبة الخانجي، (دت)، 243/02.

² ينظر: سري، حسن: الرسم العثماني للمصحف الشريف، ص04.

³ السيوطي، جلال الدين: الإتيقان في علوم القرآن، 166/02.

⁴ ينظر: شعبان، محمد إسماعيل: رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، ط2، القاهرة، دار السلام، 2001،

التعليم وغيره، وعلى كل حال فالأمر يمسّ كتاب الله، والخوض فيه صعب المنال، وتغشاها قدسيّة يهاب الاقتراب منها الباحثون والدّارسون. وهذه أهم الآراء باختصار:

1- الرأي الأول:

يرى أصحاب هذا الرأي أنّ الصّحابة الذين كتبوا المصاحف كانوا مُتقنين لقواعد العربية والخطّ العربي، فكتبوا المصاحف على هذه القواعد، وخالفوا هذه القواعد في بعض الكلمات لِعلل وأسرار كثيرة، تتّفق مع مكانة القرآن الكريم وكيفية تلاوته، وعلى هذا خلصوا إلى أنّ رسم المصحف توقيفيّ لا يجوز تغييره، وتحرم مخالفته، وهو مذهب جمهور الأمة سلفاً وخلفاً، ونقل كثير من العلماء الإجماع على ذلك¹، يقول ابن الجزري معضّداً هذا الاتجاه: «فانظر كيف كتبوا "الصراط" و"المصيطرون" بالصّاد المبدلة من السين، وعدّلوا عن السين التي هي الأصل، لتكون قراءة السين – وإن خالفت الرسم من وجه- قد أتت على الأصل فيعتدلان، وتكون قراءة الإشمام محتملة، ولو كُتِبَ ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك، وعُدّت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل، ولذلك كان الخلاف المشهور في "بصطة" الأعراف، دون "بسطة" البقرة، لكون حرف البقرة كتب بالسين وحرف الأعراف بالصّاد»².

• نقد الرأي الأول:

هذا الرأي يُضفي على الرّسم العثماني هالة من التّقديس والتّعظيم كقداسة القرآن الكريم في حروفه وكلماته، ويمنع مجاوزة هذا الرّسم ومخالفته إلى درجة التّحريم ويدّعي الإجماع على ذلك، ولا شك أنّ هذا الرّأي فيه من المبالغة ما لا ينبغي، فلا يُمكن بأيّة حال من الأحوال أن يُلحق الرّسم الذي كُتبت به آيات القرآن العظيم – وهو من وضع البشر- بعظمة الوحي المنزل من عند ربّ العالمين؛ وادّعاء التّوقيفية فيه وأنّه من عند الله، ينبغي أن يستند على دليل قويّ الثّبوت صريح الدّلالة، ولم يبلغ الصّحابة من الكمال حتى نعتقد أنّه لا يجوز أن يُنسب لهم الخطأ والتّقصير، وإنّ محاولة إيجاد الجُرم والأسرار في هذا الرّسم بهذا الشّكل، ضربٌ من الاجتهاد والتّخمين، وفتحٌ لباب الظّنّ والاحتمال، وهو ما لا يليق والبحث العلميّ المؤسّس على المنهج الصّحيح.

2- الرأي الثاني:

¹ ينظر: شعبان، محمد إسماعيل: رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، ص 41-63.

² ابن الجزري، أبو الخير محمد: النشر في القراءات العشر، 17/01.

يرى أصحاب هذا الرأي أنّ الاختلاف في كتابة المصاحف بظواهره المتقدمة، كان ناشئاً عن جهل الصّحابة بقواعد الخطّ، وبعدهم عن الصّنائع، وعليه فالرّسم ليس توقيفياً بل اصطلاحياً تجوز مخالفته، وتغييره حسبما تقتضيه قواعد الرسم الحديثة، وانتصر لهذا المذهب أبو بكر الباقلائي (ت402هـ)، وابن خلدون (ت808هـ)، وجمع من العلماء المعاصرين¹.

وقد ساق ابن خلدون حججاً تاريخية وحضارية انطلاقاً من فكره المؤصّل لعلم الاجتماع، إذ يقول عند حديثه عن الخطّ العربي: «فكان الخطّ العربي لأوّل الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التّوسط، لمكان العرب من البداوة والتّوحش وبعدهم عن الصّنائع، وانظر ما وقع لأجل ذلك من رسمهم المصحف، حيث رسمه الصّحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخطّ عند أهلها»².

ثم يواصل حديثه ليردّ على أنصار المذهب الأوّل داحضاً بذلك حججهم، فيقول: «ولا تلتفتنّ إلى ما يزعمه بعض المغفّلين من أنّهم كانوا محكمين لصناعة الخطّ، وأنّ ما يُتخيّل من مخالفة خطوطهم لأصول الرّسم ليس كما يُتخيّل، بل لكلّها وجه، ويقولون في مثل زيادة الألف في "لا أذبحنه" أنّه تنبيه على أنّ الدّبح لم يقع، وفي زيادة الياء في "أييد" أنّه تنبيه على كمال القدرة الرّبّانية، وأمثال ذلك ممّا لا أصل له إلّا التّحكّم المحض، وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أنّ في ذلك تنزيها للصّحابة عن توهّم النّقص في قلة إجادة الخطّ، وحسبوا أنّ الخطّ كمال فنّزّهوهم عن نقصه، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه، وذلك غير صحيح»³، هذا وقد تعرّض لهذا المذهب جماعة من الدّارسين المعاصرين، يقول عبد السّلام كفاقي والشّريف عبد الله: «والواقع أنّنا لو تتبّعنا طريقة رسم المصحف لوجدنا أشياء لا يمكن تعليلها، ولا داعي للتمسّك بها»⁴.

¹ ينظر: الزرقاني، عبد العظيم، مناهل العرفان، 263/01.

² ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، ط2، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1979، ص757.

³ ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، ص757.

⁴ ينظر: كفاقي محمد عبد السلام، والشّريف عبد الله: في علوم القرآن (دط)، بيروت، دار النهضة العربية، 1981، ص101. والصغير، محمد حسين: تاريخ القرآن، ط1، بيروت، دار المؤرخ العربي، 1999، ص123-143. وابن الخطيب، محمد عبد اللطيف: الفرقان، ص65-91.

• نقد الرأي الثاني:

هذا الرأي القائل بخطأ الصّحابة في الكتابة، هو رأي مدفوع كذلك، لأنّه من باب الحكم باللاحق على السّابق، وهو خطأ منهجيّ وقع فيه كثير من الباحثين، ولا تقوم به في رأيي حجة، فلا يجب أن ننظر إلى ظواهر الرّسم العثماني من خلال ما وصلت إليه قواعد الإملاء العربي من تطور في العصور اللاحقة لزمن كتابة المصحف، فدراسة تاريخ الكتابة العربية وتطورها يُبيّن بوضوح أنّ الرّسم العثماني يُمثّل مرحلة من تلك المراحل التي مرّت بها الكتابة العربية، وأنّ الصّحابة قد كتبوا المصاحف بالإملاء الذي كان مستخدماً في زمانهم، ولم يكن هناك فرق بين ما كتبوه في المصاحف وما كانوا يكتبونه في غيرها، فليس من المنطقي ولا المنهج العلمي أن نفيس ظواهر الرّسم العثماني بأصول وقواعد وضعها العلماء تيسيراً لقواعد الكتابة العربية فيما بعد¹.

3- الرأي الثالث:

وهو الرّأي الوسط الذي أرتاح إليه، وهو أنّ الخطّ أمر وضيعيّ يستند إلى ما اصطلح عليه النّاس في ذلك، وما اعتادوه في الكتابة في غير القرآن، وليس أمراً وقفياً تحرم مخالفته، وأنّ الصّحابة قد بذلوا الطّاقة في تدوين القرآن الكريم والعناية به، حسب ما أوتوا من علم في فنّ الكتابة والإملاء، وما رُسم القرآن بهذا الشّكل إلا لأنّه هو الهجاء المعروف المتداول في العصر الأوّل، ولا يؤخذ أحد بما جدّ بعده من تطوّر في العلوم وفنّ صناعة الكتابة. إلا أنّ واجب قداسة القرآن الكريم يدعونا إلى الحفاظ على ذلك الرسم وعدم مجاوزته من باب سدّ الذرائع، لئلا يكون مدعاة للتغيير والتبديل، ودرءاً للفتن المستطيرة التي تسعى إلى تغيير جوهر القرآن وكلماته بعد المساس برسمه والله أعلم.

خامساً- علاقة الرسم العثماني بالقراءة والأداء:

ذكر علماء القراءات شروطاً ومقاييس لمعرفة القراءة الصّحيحة من غيرها، وهي: مُوافقة العربيّة ولو بوجه، ومُوافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً، وصحّة السّند وتواتره. يقول ابن الجزري(ت833هـ): « كلّ قراءة وافقت العربية مُطلقاً، ووافقت أحد

¹ ينظر: الحمد، غانم قدوري: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ط1، بغداد، مطبعة اللجنة الوطنية، 1982، ص244. وابن الخطيب، محمد عبد اللطيف، الفرقان، ص85.

المصاحف العثمانية ولو تقديرا، وتواتر نقلها هذه القراءة المتواترة المقطوع بها¹. إذن فموافقة الرسم العثماني أحد هذه الشروط، فهل له علاقة بتعدد أوجه القراءة والتعدد ؟

يرى فريق من المستشرقين أنّ رسم المصحف كان سببا في وجود القراءات القرآنية، فتجرّد الخط العربي من الشّكل و التّقط كان سببا رئيسا في تعدّد القراءات، يقول المستشرق المجري جولد تسمير: « وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي، الذي يُقدّم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبعا لاختلاف التّقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل، أو تحته، وعدد تلك التّقاط... »².

ثمّ يواصل حديثه ليخلص إلى القول: « وإذا فاختلاف تحليّة هيكل الرّسم بالتّقط، واختلاف الحركات في المحصول المؤخّد القالب من الحروف الصّامته، كانا هما السّبب الأوّل في نشأة حركة اختلاف القراءات في نصّ لم يكن منقوطا أصلا، أو لم تُتحرّ الدّقة في نقطه أو تحريكه »³. وتبعه في ذلك المستشرق الألماني كارل بروكلمان، حيث يقول: « جمع عثمان المسلمون على نصّ قرآنيّ مُوحّد، هذا النّصّ الذي لم يكن كاملا في شكله أو نقطه، كان سببا في إيجاد اختلافات كثيرة »⁴.

ولقي هذا الرأى تأييدا من بعض الدّارسين العرب، أمثال د. جواد علي، ود. صلاح الدّين المنجد⁵، ولكنّه لقي نقدا شديدا من أغلب الدّارسين المعاصرين⁶، وحجّتهم في الردّ على آل الاستشراق ومن تبعهم، هي أنّ الاختلاف في القراءة نجم عن الرّواية والنّقل عن رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- وأنّ الخطّ العربي كان مُساعدا على استيعاب القراءات الصّحيحة

¹ ابن الجزري، مجمد: تقريب اللّشر، تحقيق وتقديم إبراهيم عطوة عوض، (دط)، القاهرة، دار الحديث، 2004 ، ص27.

² جولد تسمير، إجتس: مذاهب التّفسير الإسلامي، تحقيق وتعليق عبد الحليم النّجار، ط5، بيروت، دار اقرأ، 1992، ص8-9.

³ المرجع السابق.

⁴ بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيّد يعقوب بكر، ورمضان عبد التّواب، (دط)، مصر، دار المعارف، 01/04.

⁵ يُنظر: الصّغير، محمد حسين: تأريخ القرآن، ص96.

⁶ أمثال د.عبد الحليم النّجار، ود.عبد الصّبور شاهين، ود.عبد الفتّاح شلي، ود.عبد العال سالم مكرم.

بحالته التي كان عليها عند كتابة المصاحف العثمانية، من إهمال النقط والشكل، فليست العبرة بالخط، وإلا أعتمدت قراءات يسمح الخط بها¹.

وذهب د.عبد العال سالم مكرم إلى أبعد من هذا، إذ يعتقد أنّ المستشرق جولّد تسهر ما حمله على أن يذهب هذا المذهب، إلّا بعد اطلاعه على تفسير الزمخشري (ت583هـ)، حين ينتقد قراءة ابن عامر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ﴾ الأنعام/137، فقرأها برفع القتل ونصب الأولاد وجرّ الشركاء، على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما في غير ظرف، فقد ردّ الزمخشري هذه القراءة لأنّها مخالفة للقاعدة النحوية التي لا تُجيز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير ظرف، وأرجع الزمخشري خطأ ابن عامر هنا إلى رسم المصحف²، ففتح الزمخشري بقوله هذا الباب أمام هذا المستشرق³.

وهذا تخمين واحتمال فقط، ومن الإجحاف الطعن في آراء الناس وإبطالها من دون حُجّة واضحة وناصعة، ومما يُعاب على بعض الدارسين أنّهم حملوا على جولّد تسهر وأتباعه حملة شرسة، ونقدوه نقداً لا ذعاً، وأغلظوا له القول ممّا يتنافى والبحث العلمي، حتّى وصف أحدهم كلامه بـ "الضلال السبيل"، وهذا ممّا ينبغي أن يتنزّه عنه الباحث العلمي الرّصين، إذ يكفي الردّ بالحُجّة والبرهان.

ومع أنّي لا أقرّ للمستشرقين برأيهم هذا، لأنّ الاختلاف في القراءة كان سابقاً لزمان عثمان -رضي الله عنه- يوم توحيد القراءة برسم مُصحفي واحد، ولأنّ هناك شرطين آخرين يضافان إليه لقبول القراءة، ولكنّ إرجاع الاختلاف إلى الرواية والنقل فقط والتعويل عليها لا يسلم في كلّ الأحيان، فللرسم بهيئته التي كان عليها من دون شكل ونقط، سببٌ في مدّ رقعة الاختلاف وتوسيعها، وأوجه الأداء المتعدّدة في القراءة لم تكن دوماً صحيحةً أو مُسندةً إلى رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وإن سلّم منها الحفاظ والثّقات المخلصون، إلّا أنّ غيرهم

¹ ينظر: جولّد تسهر، إجنّس: مذاهب التفسير الإسلامي، تعليق عبد الحليم النّجار، ص 08. ويُنظر كذلك: شلي، عبد الفتاح: رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، (دط)، مصر، مكتبة النهضة، 1960، ص 23 وما بعدها. و مكرم، عبد العال سالم: القراءات القرآنية وأثرها في الدّراسات النّحويّة، ط 3، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1996، ص 14 وما بعدها.

² الزّمخشري، جار الله أبو القاسم: الكشّاف، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، ط 1، الرياض، مكتبة العبيكان، 1998، 401/02.

³ مكرم، عبد العال سالم: القراءات القرآنية وأثرها في الدّراسات النّحويّة، ص 14 وما بعدها.

كان يقع في هذه المزالق، أضف إلى ذلك ما كانت تفعله طائفة من المبتدعة والمنافقين، التي كانت تجترئ على كتاب الله وتُحاول تشويهه والطعن فيه، وقد أشار القسطلاني (ت923هـ) إلى هؤلاء بقوله: « ثم لما كثر الاختلاف فيما يحتمله الرسم، وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحل لأحد تلاوته، وفاقا لبدعتهم .. رأى المسلمون أن يجمعوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم »¹. وتابعه في ذلك البنّا الدمياطي².

وخير دليل على ما ذكرنا من الوضع والاختلاق، الحديث الذي أورده أبو شامة عن زيد بن أرقم قال: « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أقرأني عبد الله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد، وأقرأنيها أبي بن كعب، فاختلفت قراءاتهم، بقراءة أيهم أخذ ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وعليّ إلى جنبه، فقال عليّ: ليقرأ كلّ إنسان كما علّم، كلّ حسن جميل »³، وقد ذكر الطبري هذه الرواية وعلّق عليها المحقّق الأستاذ محمد شاکر فقال: « هذا حديث لا أصل له رواه رجل كذاب، هو " عيسى بن قرطاس " قال فيه ابن معين: " ليس بشيء، لا يحلّ لأحد أن يروي عنه"، وقال ابن حبان: " يروي الموضوعات عن الثقات، لا يحلّ الاحتجاج به"، وقد اخترع هذا الكذاب شيخاً له روى عنه، وسمّاه " زيد القصّار " !، لم نجد لهذا الشيخ ترجمة ولا ذكراً في شيء من المراجع »⁴.

إذاً فتجرّد الرسم من علامات التنقيط والشكل يطرح إشكالا جوهريا لا يمكن إنكاره، ولو كان مرسوما بشكله ونقطه لما فتح الباب لهذا التعدّد. ولقد كان اشتراط العلماء موافقة الرسم ولو تقديرا للقراءة الصّحيحة، سبيلا لقطع الطّريق أمام كل قراءة تُخالف هذا الرسم، فحينئذ تُصبح هذه القراءة شاذّة ومردودة على صاحبها، ولو كان القارئ بها من كبار الصّحابة وخيارهم، وقد رُويت جملة من هذه القراءات المخالفة للرسم عن مجموعة

¹ القسطلاني، شهاب الدين: لطائف الإشارات لفنون القراءة، تحقيق عبد الصبور شاهين، وعامر السيد عثمان، (دط)، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، 1972، 66/01.

² الدمياطي، أحمد البنّا: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق وتقديم شعبان محمد إسماعيل، ط1، بيروت والقاهرة، عالم الكتب والكتبات الأزهرية، 1987، 70/01.

³ المقدسي، أبو شامة: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تقديم وتعليق إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003، ص83.

⁴ الطّبري، محمد ابن جرير: جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر، مراجعة وتخريج الأحاديث أحمد محمد شاكر، ط2، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، (دت)، 24/01.

من الصّحابة الكرام، وقد أحصاهم د. شاهين مع عدد القراءات المنسوبة إليهم، فقال: « إنَّ عدم التزام الرّسم العثماني لم يقع في عهد الصّحابة بكثرة، إلا من ثلاثة منهم، هم: (ابن مسعود وابن عبّاس) كلاهما في أربع عشرة رواية و (أبيّ) في إحدى عشرة رواية تقريبا، أمّا (عائشة وعلي) ففي ثلاث روايات، و (ابن عمر) في روايتين، وبقية من ذكر من الصّحابة في رواية واحدة، وهم: (عمر ومعاذ وابن أبي وقاص والأشعري وأبو حذيفة وابن الزبير). وهي مخالفات للرّسم لا تكاد تظهر، أغلبها يرجع إلى الحركات الطويلة التي جرى الرّسم العثماني على حذفها»¹.

وإذا رجعنا إلى عمل عثمان -رضي الله عنه- في كتابة المصحف على هذا الشّكل، فإنّه يبدو لنا جلياً أنّ عمله وإن حلّ مشكلة كبرى، وهي أن يجتمع المسلمون على قراءة نصّ منظم من حيث أقسامه وعدد سورته، وآياته، فإنّ ما كان قد فشا من قراءات توارثها النّاس عن الصّحابة وتابعيهم، لم يكن من الممكن حلّه عن طريق توحيد المصحف، ولا سيما أنّ الرّسم الإملائي الذي كُتب به المصحف العثماني لم يكن يُشجّع على ذلك².

ونقل الطوسي (ت460هـ) عن ابن أبي هاشم قوله: « إن السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها أن الجهات التي وُجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل، فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا عن الصحابة بشرط موافقة الخط، وتركوا ما يخالف الخط، فمن ثمّ نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار³.

والأمر الذي يُثير الدهشة، ويدعو إلى الاستغراب، هو كيف يُمكن أن تكون هناك فروق كبيرة بين المصحف العثماني، ومصحف ابن مسعود مثلاً، وهو الذي يُروى في فضائله ما يُروى مع القرآن الكريم، نذكر منها ما رُوِيَ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: « خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمٍ وَمُعَاذِ بْنِ كَعْبٍ »⁴، وقوله أيضاً: « مَنْ

¹ شاهين، عبد الصبور: القراءات القرآنية في ضوء علم اللّغة الحديث، (دط)، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1966، ص261.

² دمشقية، عفيف: أثر القراءات القرآنية في تطور الدّرس النّحوي، ط1، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1978، ص10.

³ الخوئي، أبو القاسم الموسوي: البيان في تفسير القرآن، ط8، دار أنوار الهدى، 1981، ص165.

⁴ رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الحديث رقم (4999). البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ط1، بيروت، دار ابن كثير، 2002، ص1278.

سَرُّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ¹. ثُمَّ كَيْفَ يَقْرَأُ أَوْلَئِكَ الصَّحَابَةُ الْبَرَّةُ، وَهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَشَدُّهُمْ مَلَاظِمَةً لَهُ، وَأَوَّلُهُمْ تَلْقِيًّا عَنْهُ بِلَا وَسِيطٍ، الْكَلِمَةُ نَفْسُهَا عَلَى أَوْجِهٍ مُخْتَلِفَةٍ وَمُتَبَايِنَةٍ، تَبْعَثُ الشَّكَّ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَصَحْبَةِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ وَقَدْ فَعَلُوا بِالْقُرْآنِ مَا فَعَلُوا؟

قد يُعَلَّلُ لهذه المرويات التي تخالف رسم المصحف، أنَّها قراءات تفسيرية أو قراءات خاصَّة بمصاحف كانت للصَّحابة، ثم نسخت بإجماعهم على الرِّسْم الذي وضعه وأقره الخليفة عثمان -رضوان الله عليه- أو أنَّها قراءات موضوعة على الصَّحابة بغية تشويه كتاب الله، والطَّعن في هؤلاء الصَّحابة الأفاضل..

وقد انعقد إجماع القراء على أنَّ هذه القراءات شاذَّة ولا تصحَّ تلاوتها لعدم تواترها، وهذا بالرغم من ورودها في أمَّهات كتب الحديث الصَّحيحة المعتمدة، والرسم العثماني على ما فيه من نقص من عدم مانعيته لكل أوجه الخلاف، إلَّا أنَّه يبقى الفيصل والحكم الأوَّل والأخير في مثل هذه الرِّوايات التي شَدَّتْ وخرجت عنه فيما تعلق بالزيادة والنقصان أو التقديم والتأخير.

هذا والخطب جلل، وليس الأمر بالبساطة التي يراها البعض، فلماذا مسَّ القرآن الكريم هذا الخلاف الكبير في القراءة ؟ وهو الذي حضر ليُوخِّدَهُمْ ويجعلهم أُمَّة واحدة على من سواهم، وأنت حينما تستعرض هذا الكم الهائل من القراءات لتصاب بالدهشة والذهول، فهل أباح ربنا جلَّ جلاله ورخَّص لعباده رخصة الأحرف السبعة، ليصل الأمر إلى هذا الحدِّ من الخلاف والشَّقَاق الكبيرين في كتاب الله ؟ بل وحتى بعد توحيد الرِّسْم لم يسلم القرآن من تعدد الوجوه في القراءة.

¹ رواه ابن حبان في كتاب مناقب الصحابة. ابن بلبان الفارسي، علاء الدين علي: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1993، 542/15.

خامسا- إشكال النقط والتشكيل في المصحف:

لا يفوتنا أن نعرِّج على قضية هامة وخطيرة، وهي دعوى تعدد الكتّبة ترك نقط المصحف وتشكيله ليحتمل أوجه القراءة الصّحيحة، إذ يقول أبو عمرو الدّاني: «وإنّما أخلّى الصّدر منهم المصاحف من ذلك ومن الشّكل من حيث أرادوا الدلالة على بقاء السّعة في اللّغات، والفسحة في القراءات، التي أذن الله لعباده في الأخذ بها، والقراءة بما شاءت منها، فكان الأمر على ذلك إلى أن حدث في الناس ما أوجب نقطها وشكلها»¹، وتبعه في ذلك ابن الجزري حين يقول: «وجرّدت المصاحف جميعها من النّقط والشّكل ليحتملها ما صحّ نقله وثبتت تلاوته عن النّبّي صلّى الله عليه وسلّم»².

ولا يخفى على الدّارس ضعف هذه الرّأي وبعده عن الصواب، فليس هناك أيّ دليل قويّ على ما ذكروا، والأخبار الصّحيحة المتواترة تُنبئ أنّ حركة النقط والإعجام لم تظهر إلّا بعد سنين على يد بعض العلماء الأفاضل، كأبي الأسود الدؤلي (ت69هـ)، ويحيى بن يعمر (ت90هـ)، ونصر بن عاصم (ت90هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت173هـ)، وقد أشار إلى ذلك أبو الهلال العسكري (ت395هـ) قائلا: «إنّ النّاس غبروا يقرؤون في مصاحف عثمان -رضي الله عنه- نيفا وأربعين سنة إلى أيّام عبد الملك بن مروان، ثمّ كثّر التّصحيف وانتشر بالعراق ففرع الحجاج إلى كتابه، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات، فيقال: "إنّ نصر بن عاصم قام بذلك... فكان مع استعمال النّقط أيضا يقع التّصحيف، فأحدثوا الإعجام، فكانوا يتبعون النّقط بالإعجام»³.

وقد مال إلى هذا الرّأي مجموعة من الدّارسين المعاصرين واستدلوا عليه بحجج كافية لتدحض شبهة القائلين بوجود النّقط والشّكل، فهذا حفي بك ناصف يقول في كتابه "حياة اللّغة العربيّة": «فأمّا النقط فمن المقطوع به أن الخطّ الذي وصل إلى العرب لم يكن مضبوّطاً بالحركات والسّكنات، بل كان خلواً مما يدلّ على أشكال الحروف المكتوبة، بل إنّ ذلك شأن جميع الخطوط السّامية التي تتصل بالخطّ العربي، وقد كان النّاس يعتمدون في ضبط كلامهم على سليقتهم الفصحى، أو على ما يحدده السّياق المكتوب»⁴.

¹ الحمد، غانم قدوري: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ص470.

² ابن الجزري، أبو الخير محمد: النشر في القراءات العشر، 33/01.

³ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، (دط)، بيروت، دار صادر، (دت)، 135/01.

⁴ شاهين، عبد الصبور: تاريخ القرآن، (دط)، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، 2003، ص137.

وهذا عبد الصبور شاهين يتبنى هذا الرأي ويقول: « إنَّ مشكلة الرّسم في حقيقتها هي مشكلة اللغات السّامية بعامة، والعربية من بينها بخاصّة، فهي لم تعترف منذ كانت بوجود الحركات، بل كان كلّ اعتماد هذه المجموعة على الحروف الصّامتة (consonnes) أكثر من اعتمادها على المصوّتات (voyelles)، ومن ثمّ لم تصطنع السّاميات للمصوّتات رموزا، بعكس المجموعة الهندية الأوروبية، التي أبرزت دائما وجود هذه العناصر»¹.

وأما غانم قدوري الحمد فيدعم هذا الرأي بقوله: « وأما قولهم إنّ المصاحف جُرّدت لتحتمل ما صحّ من القراءة، فإنّه لا يقوم دليلا على ما ذهبوا إليه، لأنّ ذلك يحتاج أولا إلى إثبات أنّ النّقط والشّكل كان موجودا، ثمّ إثبات أنّ المصاحف قد جُرّدت منه لتحتمل ما صحّ من القراءة، أما النّقط والشّكل فلم يثبت إلى اليوم أنّه كان موجودا يوم كُتبت المصاحف، فبقي أنّ المصحف العثماني لم يكتب إلا لتمثيل القراءة العامّة المشهورة في المدينة حينذاك»².

أضف إلى ذلك أنّ الحياة العربية عند العرب قبل الإسلام لم تكن تستدعي استخداما واسعا للكتابة العربية، فأحدث الإسلام حركة علمية هائلة وانقلابا حضاريا شاملا، ولم تكن الكتابة قادرة على الاستجابة لتلك الحاجات المستجدة، فمن ثمّة سارع علماء القرآن واللغة العربية إلى اختراع نظم جديدة للعلامات³.

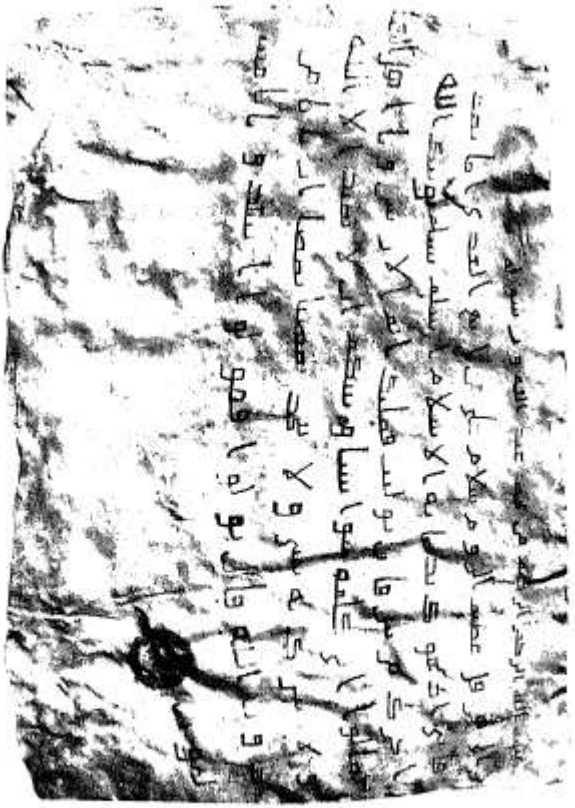
وأمامنا كذلك دليل آخر على صحة قولنا، وهو دليل مادّي يتمثّل في الرّسائل التي بعث بها رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام، ورسائل خلفائه من بعده، فإنّا إذا ما تصفّحناها لم نجد للنّقط أو للشّكل أثرا فيها، فإن كان ما ادّعوه صحيحا لزم أن تكون منقوطة ومشكولة، وإلاّ فهل كُتبت كذلك لتحتمل أوجه أخرى في القراءة؟

وهذه بعض الوثائق والرسائل الدّالة على عدم وجود النّقط أو الشّكل:

¹ شاهين، عبد الصبور: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص259.

² الحمد، غانم قدوري: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ص471-472.

³ الحمد غانم قدوري: اللقاء العلمي لشبكة التفسير والدراسات القرآنية، ص45، من موقع: www.tafsir.net



كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الزوم¹.

¹ حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط5، بيروت، دار النفائس، 1985، ص108.



كتابه عليه السلام الى المقوقس، وثيقة (٤٩).

(يأذن مدير متحف توب قايي باستانبول)

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط¹.

¹ حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص137.



كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى، وثيقة (٥٣)
(ياذن مالكه السيد هنري فرعون)

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى أبرويز عظيم الفرس¹.

¹ حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص 141.

بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله
 الصبر يا ساوي سلة خدد فاي عفت الله
 الذي لا اله غيره و نسكك لا لا
 الله و انكفك نسكك و رة نسكك فاي
 الله عز و جهه في نسكك فاي نسكك
 ليل و نسكك عفتك فاي نسكك
 يا نسكك عفتك فاي نسكك
 محمد يا نسكك للمسلمين ها سلوهوا لله و
 الرب - نسكك عفتك فاي نسكك
 فامر على كانه و نسكك دله العرفك



كتابه صلى الله عليه وسلم الى المتلبر بن ساوى، وثيقة (٥٧).
 (ياذن المجلة الألمانية ZDMG).

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى¹.

¹ حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص 147.



رسم كتاب
النبي عليه
السلام إلى
جيفر وعبد
ملكي عمان
كما صدر
في جريدة
مجهولة الاسم

بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله ، إلى جيفر وعبد ابني الجلندي :
السلام على من أتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوكما بدعاية^٣
الإسلام . أملما تسلمما ، فإني رسول الله إلى الناس كافة ،
لأنذر من كان حياً ويحقق القول على الكافرين . وإنكما إن^٦
أقررتما بالإسلام وليتكما . وإن أبيتما أن تُقرّا بالإسلام ، فإن^٦
مُلُككما زائل ، ونجلي تحلّ بساحتكما ، ونظهر نبوتِي على
مُلُككما .
وكتب أبي بن كعب .
٩

الله
رسول
محمد

 علامة الختم

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى ملكي عُمان جيفر وعبد ابني الجلندي^١.

^١ حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص162.

خامساً- بعض الآيات نموذجاً:

- النموذج الأول:

* قال الله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾
طه/18.

اختلف القراء في قراءة كلمة (أَهُشُّ) على النحو الآتي¹:

النص المصحفي	أوجه القراءة	القراء
أَهُشُّ	أَهُشُّ	قراءة الجمهور
	أَهْشُّ	النخعي- أبو البرهسم
	أَهُشُّ	عكرمة- مجاهد
	أَهْشُّ	النخعي
	أَهُشُّ	عكرمة- الحسن
	أَهْشُّ	النخعي

وبالعودة إلى المصحف المنسوب إلى سيدنا عثمان -رضي الله عنه- فإنّ رسمها بهذا الشكل: "أهس"، مما يفتح باباً لاحتمال قراءتها على أوجه متعددة تقتضيها طبيعة الرسم الخالي من نقط الإعراب والإعجام²:



إذاً فالرسم هنا لم يحسم المسألة، ويبقى التعويل على الرواية والنقل لترجيح القراءة الصحيحة، ومهما تكن التوجيهات النحوية أو الصرفية لهذه الأوجه إلا أنّ السؤال الذي يطرح نفسه، هل قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بكل هذه الأوجه وهي مروية عن خيرة العلماء

¹ عمر، أحمد مختار، ومكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، ط2، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، 1988، 76/04-77. والخطيب، عبد اللطيف: معجم القراءات القرآنية، ط1، دمشق، دار سعد الدين، 2000، 424-423/05.

² المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: تحقيق طيار أتي قولاج، تقديم إكمال الدين إحسان أوغلو، ط1، منظمة المؤتمر الإسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 2007، ص397.

من التآبعين ؟ فإن قفل هف لغآآ العرب الصأفة فالهش والهس مقآربآن فف المأرأ، وهل كآآب الله مآآل لآسآعراض لغآآ العرب ؟

وإذا نظرنا إلى قراءة إبدال الشفن سفنا، فلماذا هذا الإبدال ؟ أهو تسفرآبعا لرأصة الأأرف السبعة ؟ أم أن الرسم فآأ الباب للمبآدعة والمآفقفن للآلاعب بكآآب الله عزوجل، ونحن ننزه القارئف المنسوبة إلفهم هذه الأوجه من القراءة عن ذلك، فقد ذكرنا رواءة الوضآعفن فف هذا.

وقد لا فدرى أأفانا القفبلة الآف فأسب إلفها آلك اللغة، فقول السامرائف: « إذا عرضنا لمآآمع الإبدال وجدنا أنها فف كآفر من الأأفان آألو من العزو، فإن كآفرًا مما ذكره أبو فوسف فعقوب بن السكفآ وأبو الطفب اللعوف، مفآقر للعزو، فلم فأصا الألفاظ الآف اعآورها الإبدال ببفئة معفنة، وقد أرت على هذه الطرفة معآمآآ العربفة »¹.

ونسآطفع أن نذهب فف سائر المواد الآف أصل ففها الإبدال فنقول: « إنها أفراد سآآآها العربفة فف كآمآآ بعفنها، لا فمكن أن آكون ظآاهرة لغوفة فسبفها عامل صوآف، ففر أن الذفن هرعوا إلى هذا اللون من الدرس أراآوا أن فقفموا من هذه الأشآآآ هفآكل، فأآف العلم بنفانهم من القواعد »².

وعلفه فإن قراءة الجمهور هف الأولى بالإنآباع لأنها القراءة المآوآرة³، وإآآم الأمة على القراءة بها، وشذوذ ما عاآها من قراعات أخرى لم آآواآر سناً ولم آأظ بالقبول.

¹ السامرائف، إبراهيم: الآطور اللعوف الآرفف، ط3، بفروآ، آار الأناآلس، 1983، ص113.

² السامرائف، إبراهيم: فف اللهآآآ العربفة القفمفة، ط1، بفروآ، آار الآآآة 1994، ص102.

³ المأفسن، مأمآ سالم: المأآب فف القراعات العشر وآوجهها من طرقف طفبة النشر، (آط)، القآهرة، المكآبة الأزهرفة للآراآ، 1997، 138/01.

- النموذج الثاني:

* قال الله تعالى: ﴿ أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَافاً أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ * هَمَّاتٌ هَمَّاتٌ لَمَّا تُوَعَّدُونَ ﴿ المؤمنون/35-36.

اختلف القراء في قراءة كلمة (همَّاتٌ) على النحو الآتي¹:

التص المصحفي	أوجه القراءة	القارئ
هَمَّاتٌ هَمَّاتٌ	هَمَّاتٌ هَمَّاتٌ	الجمهور
	هَمَّاتاً هَمَّاتاً	أبو عمرو- هارون- خالد بن إلياس
	هَمَّاتٍ هَمَّاتٍ	أبو جعفر- شيبة- عيسى الثقفي
	هَمَّاتٍ هَمَّاتٍ	عيسى بن عمر- خالد بن إلياس
	هَمَّاتُ هَمَّاتُ	أبو حيوة- نصر بن عاصم- أبو العالية
	هَمَّاتُ هَمَّاتُ	أبو حيوة- الأحمر
	هَمَّاتُ هَمَّاتُ	أبو عمرو- خارجة بن مصعب- الأعرج- عيسى الهمداني
	هَمَّاتُ هَمَّاتُ	أبو السمال
	هَمَّاه هَمَّاه (وقفاً)	أبو عمرو- ابن كثير- الكسائي- البزي
	أَيَّاه أَيَّاه	غير معروف
	أَيَّات أَيَّات	غير معروف
	هَمَّاه هَمَّاه (وقفاً ووصلاً)	غير معروف

¹ عمر، أحمد مختار، ومكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، 211-209/04. والخطيب، عبد اللطيف: معجم القراءات القرآنية، 174-171/06.

وبالعودة إلى المصحف المنسوب إلى سيدنا عثمان -رضي الله عنه- فإنّ رسمها على شكل حروف صوامت دون أيّ شكل أو نقط، ومحدوفة الألف بعد الهاء، مما يفتح بابا لاحتمال قراءتها على أوجه متعددة أيضا¹:



فها أنت ترى هذا الكم الهائل من الأوجه المتعددة في القراءة، فتُصاب بالذهول والعجب، فالرسم بهيئته لا يستطيع أن يقطع الباب أمام القارئ المتزيد، والرواية نفسها قد تعددت وكثرت، وقرأ بهذه الأوجه خلق كثير.

فقراءة الجمهور بفتح التاء فيهما دون تنوين وهي لغة أهل الحجاز، وقراءة أبي جعفر بكسر التاء فيهما دون تنوين وهي قراءة تميم وأسد، وقراءة الوقف عليها بالهاء عند أبي عمرو، وابن كثير، والكسائي، والبزي، وهي القراءات المتواترة وما عداها شاذة².

وكثيرا ما يسعى اللغويون والنحاة لإيجاد التخرجات والتعليقات، لكلّ القراءات الواردة ولو كانت مصنّفة في خانة الشذوذ ولا تحلّ القراءة بها، فذلك شغلهم الشاغل وصنعهم التي يُجيدون، يقول د. عبد الصبور شاهين: «إنّ تتبّعنا للقراءات الشاذّة، ودراستنا لما قدّم العلماء السلف من تفسيرات، يكشف عن حقيقة ينبغي التسليم بها هي: أنّ أغلب هذه القراءات لم يُعدم مسوّغا تقوى به روايته، من نسبة إلى لغة، أو من تحليل صوتي، أو نحوي، أو صرفي...»³.

ولكن لا أحد منهم وقف صارخا ليواجه هذه المهزلة والتي كان لبعض النحاة والقراء ورواة الدّهماء اليد الطولى فيها، فهل أصبح كتاب الله بابا لكل وجوه الاحتمال الواردة في قراءة اللفظة القرآنية، وماذا عساها تنفعنا توجيهات التحوّين ونحن نصطدم أمام جبال من

¹ المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: تحقيق طيار ألتي قولاج، تقديم إكمال الدين إحسان أوغلو، ص439.

² المحيسن، محمد سالم: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طبية النشر، ص183/02.

³ شاهين، عبد الصبور: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص269.

القراءات الشاذة، والتي مُلئت بها كتبهم ومؤلفاتهم، وهي تطغى طغيانا فاحشا يضر بكتاب رب العالمين ؟

لفظة " هيات " وقد شاع استعمالها بهذا الشكل هي القراءة المتواترة والمختارة، وما تلك الوجوه الأخرى إلا من تصنع المتردين والوضّاعين، وإن علّوا بورودها كلغات للعرب، يقول أبو حيان: « وهذه الكلمة ممّا تلاعبت بها العرب تلاعبا كبيرا بالحذف والإبدال والتنوين وغيره، وقد ذكرنا في التكميل لشرح التسهيل ما ينيف على أربعين لغة ¹ ».

- النموذج الثالث:

* قال الله تعالى: ﴿ اَلَمْ * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي اَدْنَى الْاَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِيْمٍ سَيُغْلِبُوْنَ * فِي بَضْعِ سِنِيْنَ لِلّٰهِ اَلْاَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُوْنَ * بِنَصْرِ اللّٰهِ يَنْصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُ ﴾ الروم/01-05.

مسّ الاختلاف في القراءة في هذه الآيات الكريمات، مجموعة من الكلمات نذكر منها

ما يلي ² :

النص المصحفي	أوجه القراءة	القارئ
غُلِبَتِ الرُّومُ.. سَيُغْلِبُونَ	غُلِبَتِ الرُّومُ.. سَيُغْلِبُونَ	الجمهور
	غَلَبَتِ الرُّومُ.. سَيُغْلِبُونَ	ابن عمر- أبو سعيد الخدري- عصمة- هارون- علي- ابن عباس- الحسن- معاوية بن قرة- نصر بن علي
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ	مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ	الجمهور
	مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ	أبو السّمال- الجحدري- عون العقيلي
	مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ	غير معروف

¹ أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: البحر المحيط، بعناية زهير جعيد، (دط)، بيروت، دار الفكر، 2005، 562/07.

² عمر، أحمد مختار، ومكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، 64-63/05. والخطيب، عبد اللطيف: معجم القراءات القرآنية، 140-137/07.

غير معروف	مِن قَبْلٍ وَمِن بَعْدُ	
-----------	-------------------------	--

وبالعودة إلى المصحف المنسوب إلى سيدنا عثمان -رضي الله عنه- فإن رسمها على شكل حروف صوامت دون أي نقط أو شكل، مما يفتح باباً لاحتتمال قراءتها على أوجه متعددة تقتضيها طبيعة هذا الرسم¹:



أما قراءة: " غَلِبَتِ الرُّومُ..سَيَغْلِبُونَ " فقد قرأ بها الجمهور وهم القراء العشرة وغيرهم، بضمّ الغين في غلبت مبنياً على المفعول، ويغلبون مبنياً للمعلوم.

وهذه السّورة مكّية بلا خلاف، وسبب نزولها أنّ كسرى بعث جيشاً إلى الرّوم، وأمّر عليهم رجلاً اختلف التّقلّة في اسمه، فسار إليهم بأهل فارس، وظفروقتل وخرّب وقطع زيتونهم، وكان التقاؤهم بأذرعات وبُصرى، وقيل: بأرض الأردن وفلسطين، فشقّ ذلك على المسلمين لكونهم مع الرّوم أهل الكتاب، وفرح بذلك المشركون لكونهم مع المجوس وليسوا بأهل كتاب، فأخبر الله عزّ وجلّ نبيّه الكريم -صلى الله عليه وسلّم- أنّ الرّوم ستَغْلِبُ فارس في بضع سنين، وأنّ المؤمنين يفرحون بذلك لأنّ الرّوم أهل كتاب، فكان هذا من علم الغيب ودليل على نبوّة محمّد -صلى الله عليه وسلّم- وقد صاح أبو بكر بها في نواحي مكّة، فقال ناس من مشركي قريش: زعم صاحبك أنّ الرّوم ستَغْلِبُ فارس في بضع سنين أفلا نُراهنك على ذلك ؟ فقال: بلى، وذلك قبل تحريم الرّهان، فاتّفقوا أن جعلوا البضع ثلاثاً والقلائن عشراً، وأخبر أبو بكر

¹ المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: تحقيق طيار ألي قولاج، تقديم إكمال الدين إحسان أوغلو، ص521.

رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بذلك، فقال: هَلَّا اخْتُطِبْتُ، فارجع فزدهم في الأجل والرّهان، فجعلوا القلائص مائة، والأجل تسعة أعوام، فظهرت الرّوم على فارس في السّنة السّابعة¹.

وأما قراءة " غَلَبَتِ الرُّومُ...سَيُغْلَبُونَ " فهي قراءة شاذة وتُخالف القراءة الأولى المجمع عليها بل وتناقضها، وقد روي أنّ ابن عمر -رضي الله عنهما- لما قرأ " غَلَبَتِ الرُّومُ " قيل له: علام غلبوا ؟ فقال: على أدنى ريف الشّام، والتّفسير يردّ قول ابن عمر². وتأوّل بعضهم هذه القراءة فقال: « ومعناه أنّ الرّوم غلبوا على ريف الشّام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين »³.

قد كنّا نحتكم في ترجيح قراءة على أخرى إلى الرّسم أحيانا، أو إلى الأدلّة اللّغويّة والتّحويّة أحيانا أخرى، أو إلى معيار التواتر وقوّة الثبوت وكثرة القراء، أمّا هنا فإنّنا سنلجأ إلى الرّواية التّاريخيّة، كون هذه الآية تتعلّق بحدث تاريخي عظيم سجّله كتب التّاريخ، وتناقله المفسّرون في كتبهم، ألا وهو هزيمة الرّوم ثمّ ظفرهم من بعد ذلك على الفرس، فسجّل القرآن العظيم هذه الحادثة وأنّبأ عن الأخرى، وعليه تكون القراءة الثّانية مرجوحة ومردودة، أضف إلى أنّها قراءة شاذّة.

وأما قوله: "من قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ" فالقراءة المتواترة التي قرأ بها العشرة جميعهم هي بضمّهما دون تنوين: أي من قبل غلبة الرّوم ومن بعدها، ولما كانا مضافين إلى معرفة وحذفت بُنِيا على الضمّ⁴، يقول النّحاس: « فأما الكلام في قبل وبعد على مذهب سبويه وعلى مذهب البصريين إنّ سبيلهما أن لا يُعربا، لأنّهما قد كانتا حُذفت منهما المضاف إليه والإضافة، فصارتا معرفتين من غير جهة التعريف، فزال تمكّنهما فلم يُخلِيا من حركة لأنّهما كانتا معرفتين،

¹ الألوسي، شهاب الدّين محمّد: روح المعاني في تفسير القرآن والسّبع المثاني، ط4، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1985، 17/21-18.

² ينظر: الفراء، أبو زكريا يحيى: معاني القرآن، تقديم وتعليق إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلميّة، 2002، 211/02.

³ ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، بيروت، دار الكتب العلميّة، 2001، 327/04.

⁴ أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: البحر المحييط، 375/08.

فاختيرلها الضمّ لأنّه قد يلحقهما بحقّ الإعراب الجرّ والنّصب، فأعطيتا غير تيّنك الحركتين فضُمَّتا¹.

وقيل: إنّما بُنِيا على الضّمّ لأنّهما غايتان، وقد اقتصر عليهما، وحُذف ما بعدها، فبُنِيا لمخالفتها الأسماء، وأُعطيّا الضّمّ لأنّه غاية الحركات².

ونحن نرجّح قراءة الجمهور، وأمّا القراءات الأخرى فهي شاذة لا يلتفت إليها، رغم أنّ الرسم يفتح باب الاحتمال لقراءته وأمّا الرواية فهي بدورها لم تسلم من النّقد والتّجريح، وإن صحّت فاحتمال الخطأ وارد فيها، لأنّ الرواة بشر يلحقهم النّسيان والزّلل والوهم، فضلا عن وجود كذّابين ووضّاعين اندسوا تحت لواء الرواية لنشر زورهم وهتانهم، ولقد انكشف أمرهم في التاريخ الإسلامي مرّات عدّة.

- النموذج الرابع:

* قال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ البقرة/117.

اختلف القراء في قراءة كلمتي (كن فيكون)، على النحو التالي³:

النّص المصحفي	أوجه القراءة	القارئ
كن فيكون	كن فيكون	الجمهور
	كن فيكون	ابن عامر- شريح- الذماري

¹ النحاس، أبو جعفر أحمد: إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004، 180/03.

² القيسي، مكي بن أبي طالب: مشكل إعراب القرآن، تحقيق ياسين محمد السواس، (دط)، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1974، 176/02.

³ عمر، أحمد مختار، ومكرم عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، 106/01. والخطيب، عبد اللطيف: معجم القراءات القرآنية، 181-182/01.

وبالعودة إلى المصحف المنسوب إلى سيدنا عثمان -رضي الله عنه- فإن رسمها على شكل حروف صوامت دون أي نقط أو شكل، مما يفتح باباً لاحتتمال قراءتها على أوجه متعددة تقتضيها طبيعة هذا الرسم¹:



فنحن أمام قراءتين كلاهما متواترة، فابن عامر كذلك من القراء السبعة، وقد اجتهد النحاة واللغويون ومعه المفسرون لتخريج القراءتين نحوياً وأطالوا ورد بعضهم على بعضهم مما لا يعيننا في هذا المقام².

وقد تكلم الناس في قراءة ابن عامر، فقال ابن مجاهد: قرأ ابن عامر: (فَيَكُونُ) نصباً، وهذا غير جائز في العربية، لأنه لا يكون الجواب هنا للأمر بالفاء إلا في «يس» و«النحل»، فإنه نسق لا جواب. وقال أيضاً في (آل عمران): قرأ ابن عامر وحده: (كُنْ فَيَكُونُ) بالنصب وهو وهم³. وقال أحمد بن موسى في قراءة ابن عامر: (هذا لحن)⁴، وذكر مكي أن وجه النصب مشكلٌ ضعيف⁵.

¹ المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: تحقيق طيار ألي قولاج، تقديم إكمال الدين إحسان أوغلو، ص21.

² ينظر: ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي: اللباب في علم الكتاب، تحقيق وتعليق ودراسة عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ومحمد سعد رمضان حسن، ومحمد المتولي الدسوقي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998، 425/02. والزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط1، بيروت، عالم الكتب، 1988، 199/01. وابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 202/01. وابن خالويه، الحسين بن أحمد: الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، بيروت، دار الشروق، 1979، ص88. والعكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين: التبيان في إعراب القرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، (دط)، بيروت، دار الفكر، 2001، 93/01.

³ ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي: اللباب في علم الكتاب، 427/02.

⁴ ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 202/01.

⁵ القيسي، مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق معي الدين رمضان، ط5، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997، 261/01.

وقد إعتبر أبو حيان ما بدر من هؤلاء الذين طعنوا في قراءة ابن عامر من أقبح الخطأ المؤثم الذي يجرّ قائله إلى الكفر؛ لأنّ قراءته من القراءات السّبع المتواترة، وهو رجل عربيّ لم يكن ليلحن، كما أنّها قراءة الكسائي في بعض المواضع، وهو إمام الكوفيين في علم العربيّة¹.

والذي أختره وأرى أنّه أولى بالقراءة قراءة الرّفع لأنّ به يتمّ المعنى، ولأنّ جمهور القراء عليه.

- خاتمة:

خُصّ هذا البحث إلى ما يلي:

- إنّ حقل الدراسات القرآنية حقل شائق لكونه يتعلق بكتاب الله عز وجلّ، ويشرف الدرس بِشرف المدرّس، وقد تعددت هذه العلوم وتنوعت، ولكنّ علم القراءات وتعلقه بالرسم العثماني بقي يطرح إشكالا كبيرا، اختلف الناس حوله مذاهب وفرقا شتى.
- قام الخليفة عثمان -رضي الله عنه- بعمل جليل حينما وحد المسلمين على رسم واحد، درءا لفساد الاختلاف والفرقة، فسوّى هذا العمل العظيم بالرسم العثماني، وأخذ على عاتق الصحابة الكرام إجماعا لا يُضام.
- هذا الرسم العثماني كان مخالفا للرسم الإملائي الذي عهدّه الناس فيما بعد، ولا منقصة في ذلك ولا عيب، فهو مبلغ علم وجهد الكتبة آنذاك في الخط والكتابة، ولكنه ليس توقيفيا، وإنما وجب الحفاظ عليه احتراما وتعظيما لكتاب الله، لئلا يتعرض للتغيير حسب أهواء الناس ورغباتهم.
- هذا الرسم العثماني كان غفلا من نقط الإعراب والإعجام، مما أدى حسب رأينا إلى كثير من الاختلاف في القراءات القرآنية، والأدلة على ذلك كثيرة قد ذكرنا بعضها منها.
- نعم كانت الرواية حاضرة لتسد الباب أمام قراءات يحتملها الرسم ولم يُقرأ بها، ولكن الرواية نفسها قد تعرضت للتحريف والتصحيف والتبديل، ووضع الوضاعين وكذبهم، وإن سلم منها الحفاظ والثقات والعدول.

¹ ينظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: البحر المحيط، 536/01.

- المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

* المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: تحقيق طيار ألي قولاج، تقديم إكمال الدين إحسان أوغلو، ط1، منظمة المؤتمر الإسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 2007.

1. الألوسي، شهاب الدين محمد: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ط4، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1985.
2. البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ط1، بيروت، دار ابن كثير، 2002.
3. بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد يعقوب بكر، ورمضان عبد التّوّاب، (دط)، مصر، دار المعارف، (دت).
4. البستاني، المعلم بطرس: قطر المحيط، ط2، بيروت، مكتبة لبنان، 1995.
5. ابن بليان الفارسي، علاء الدين علي: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1993.
6. ابن الجزري، مجمل: تقريب النّشر، تحقيق وتقديم إبراهيم عطوة عوض، (دط)، القاهرة، دار الحديث، 2004.
7. ابن الجزري، محمد: مُنجد المقرئين، تقديم وتعليق عبد الحليم قايّة، ط1، الجزائر، دار البلاغ، 2003.
8. ابن الجزري، أبو الخير محمد: النشر في القراءات العشر، تقديم علي محمد الضّبّاع، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002.
9. ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النّجار، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي، (دت).
10. جولد تسهر، إجنّس: مذاهب التّفسير الإسلامي، تحقيق وتعليق عبد الحليم النّجار، ط5، بيروت، دار اقرأ، 1992.
11. الحمد، غانم قدوري: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ط1، بغداد، مطبعة اللجنة الوطنية، 1982.
12. حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط5، بيروت، دار النفائس، 1985، ص108.
13. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: البحر المحيط، بعناية زهير جعيد، (دط)، بيروت، دار الفكر، 2005.
14. ابن خالويه، الحسين بن أحمد: الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، بيروت، دار الشروق، 1979.
15. ابن الخطيب، محمد عبد اللطيف: الفرقان، (دط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (دت).
16. الخطيب، عبد اللطيف: معجم القراءات القرآنية، ط1، دمشق، دار سعد الدين، 2000.
17. ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، ط2، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1979.
18. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، (دط)، بيروت، دار صادر، (دت).
19. الخوئي، أبو القاسم الموسوي: البيان في تفسير القرآن، ط8، دار أنوار الهدى، 1981.
20. الداني، أبو عمرو عثمان: المقنع في رسم مصاحف الأمصار، (دط)، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، (دت).
21. دمشقية، عفيف: أثر القراءات القرآنية في تطور الدّرس النّحوي، ط1، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1978.
22. الدّميّاطي، أحمد البنا: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق وتقديم شعبان محمد إسماعيل، ط1، بيروت والقاهرة، عالم الكتب والكليات الأزهرية، 1987.
23. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط1، بيروت، عالم الكتب، 1988.
24. الزرقاني، عبد العظيم: مناهل العُرفان في علوم القرآن، ط2، بيروت، دار الفكر، (دت).
25. الزّركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، قدّم له وعلّق عليه مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988.
26. الزّمخشري، جار الله أبو القاسم: الكشّاف، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان، 1998.
27. السامرائي، إبراهيم: التطور اللغوي التاريخي، ط3، بيروت، دار الأندلس، 1983.

28. السامرائي، إبراهيم: في اللهجات العربية القديمة، ط1، بيروت، دار الحداثة 1994.
29. السحستاني، عبد الله بن أبي داود: المصاحف، تحقيق محب الدين عبد السبعان واعظ، ط2، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 2002.
30. سري، حسن: الرسم العثماني للمصحف الشريف، ط1، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، 1998.
31. السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، (دط)، دار الفكر، (دت).
32. السيوطي، عبد الرحمن: همع الهوامع، تصحيح محمد بدر الدين النعساني، (دط)، مصر، مكتبة الخانجي، (دت).
33. شاهين، عبد الصبور: تاريخ القرآن، (دط)، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، 2003.
34. شاهين، عبد الصبور: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، (دط)، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1966.
35. شعبان، محمد إسماعيل: رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والأصطلاحات الحديثة، ط2، القاهرة، دار السلام، 2001.
36. شلي، عبد الفتاح: رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، ط4، القاهرة، مكتبة وهبة، 1999.
37. شلي، عبد الفتاح: رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، (دط)، مصر، مكتبة النهضة، 1960.
- 38.
39. الصغير، محمد حسين: تأريخ القرآن، ط1، بيروت، دار المؤرخ العربي، 1999.
40. الطبري، محمد ابن جرير: جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر، مراجعة وتخريج الأحاديث أحمد محمد شاكر، ط2، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، (دت).
41. الفراء، أبو زكريا يحيى: معاني القرآن، تقديم وتعليق إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002.
42. ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي: اللباب في علم الكتاب، تحقيق وتعليق ودراسة عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ومحمد سعد رمضان حسن، ومحمد المتولي الدسوقي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998.
43. ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001.
44. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين: التبيان في إعراب القرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، (دط)، بيروت، دار الفكر، 2001.
45. عمر، أحمد مختار، ومكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، ط2، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، 1988.
46. القسطلاني، شهاب الدين: لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق عبد الصبور شاهين، وعامر السيد عثمان، (دط)، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، 1972.
47. القيسي، مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محي الدين رمضان، ط5، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997.
48. القيسي، مكي بن أبي طالب: مشكل إعراب القرآن، تحقيق ياسين محمد السواس، (دط)، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1974.
49. كفا في محمد عبد السلام، والشريف عبد الله: في علوم القرآن (دط)، بيروت، دار النهضة العربية، 1981.
50. المحيسن، محمد سالم: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، (دط)، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، 1997.
51. المقدسي، أبو شامة: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تقديم وتعليق إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003. مكرم، عبد العال سالم: القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1996.
52. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، ط1، بيروت، دار صادر، 2000.
53. النحاس، أبو جعفر أحمد: إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004.